OPEN ACCESS
Al-ISRA
International Journal of Islamic Thought
ISSN: 2959-3603
www.israjr.com

Al-ISRA
Vol.:5, Issue: 1, Jan -March 2026 PP: 25-34

اندماج الرواية في السيرة الذاتية عند جبرا إبراهيم جبرا

The Integration of Autobiography in the Novels of Jabra Ibrahim Jabra

Dr. Rabia Omar Hayat
Assistant Professor Arabic, Government Jinnah Graduate College (W). Mozang Lahore
Email rabiaomarhayat.roh@gmail.com

Abstract

This study explores the phenomenon of autobiographical integration in the fictional works of Jabra Ibrahim Jabra, focusing on the complex interplay between personal experience and narrative construction in his novels. Jabra, a prominent Palestinian intellectual, novelist, translator, and critic, is widely recognized for his significant contribution to modern Arabic literature and his role in shaping the Arab literary modernist movement. Through an analytical reading of his autobiographical works, The First Well and The Princesses' Street, alongside his major novels such as Hunters in a Narrow Street, The Ship, and In Search of Walid Masoud, this paper investigates how elements of his lived experience permeate his fictional narratives. Although Jabra explicitly states that his fictional characters are products of imagination and any resemblance to real individuals is purely coincidental, a closer literary analysis reveals strong thematic and experiential parallels between his autobiography and fiction. Events, emotional struggles, and socio-political contexts presented in his novels often reflect autobiographical dimensions that cannot be dismissed as mere coincidence. The study critically examines these intersections to understand how autobiography transforms into fictional form and how narrative identity is reconstructed through literary creativity. Methodologically, the research employs a comparative textual analysis of autobiographical and fictional texts, highlighting structural, thematic, and stylistic convergences. The study argues that Jabra's narrative technique challenges the rigid boundaries between autobiography and fiction, offering a hybrid literary form that enriches Arabic narrative tradition. Ultimately, the paper demonstrates that autobiographical embedding in Jabra's novels serves not only as a narrative strategy but also as a means of intellectual self-expression and cultural commentary.

Keywords: *Autobiography, Fiction, Jabra Ibrahim Jabra, Arabic Modern Literature, Narrative Identity, Intertextuality, Literary Modernism.*

الخلاصة:

إن الأديب الذي يكتب سيرته الذاتية يعطي فرصةً واضحةً لمن يحاول فهمه وفهم نتاجه الأدبي على حد سواء. وقد كتب جبرا إبراهيم جبرا فصولاً في سيرته الذاتية في كتابين سماهما "البئر الأولى" و"شارع الأميرات". وبعد مطالعة رواياته يمكن الملاحظة بأن حياة جبرا إبراهيم جبرا قد ترددت في ثلاث من رواياته وهي: "صيادون في شارع ضيق" و"السفينة" و"البحث عن وليد مسعود"، مع أنه كرَّرَ في بداية رواياته هذه الملاحظة: "الشخصيات والأسماء في هذه الرواية من خلق الخيال، فإذا وجد أي شبه بينها وبين أناس حقيقيين أو أسمائهم فلن يكون ذلك إلا من محض الصدفة، وخالياً من القصد". لكن من يقرأ رواياته الثلاثة السابق ذكرها يجد نفسه أمام أسماء وأناس قد تغيرت، لكن بعض الحوادث والصراعات التي يتعرضون لها لا يمكن فصلها عن الحوادث والصراعات التي أشار إليها جبرا في جزئي سيرته الذاتية. وستبحث هذه المقالة في الأجزاء المندمجة من سيرته الذاتية في رواياته: أسباباً ونتائجاً.

يعتبر جبرا إبراهيم جبرا مفكراً ومثقفاً فلسطيني الأصل الذي تميز بتعدد مواهبه وسعة اطلاعه. وهو كتب من معظم الأنواع الأدبية الحديثة وساهم عن طريق مؤلفاته الإبداعية والمتنوعة في اثراء المكتبة العربية في مجالات القصة القصيرة والرواية والشعر والمقالة والبحث الأدبي، كما قام بترجمة العديد من كبار كتب الأدب والنقد المشهورة في الأدب الإنجليزي، خاصة وليم شكسبير. كما كان له دور كبير في حركة التجديد في الأدب العربي، واعتبره بعض الدارسون نقطة الحداثة في الرواية العربية.

ماهية السيرة الذاتية:

إن كانت السيرة الإنسانية في تعريفها الشائع؛ هي ذلك النوع الأدبي الذي يتناول التعريف بحياة إنسان ما، تعريفاً يقصر أو يطول؛ فإن جانباً كبيراً من جوانب الحياة في هذه السيرة يقوم على التفكير والتأمل من جهة، والسلوك والعمل من جهة أخرى. ولكنها إلى جانب هذا وذاك، فنّ أدبيّ جوهره التواصل اللغوي. "إنّ حياة الإنسان قد تبدو له مثل قصة يرويها للآخرين، وكأن من طبيعة الحياة أن تتخذ طابع الرواية المسرودة أو القابلة للسرد". [1]

وفي ذلك تفسير لطبيعة السيرة الذاتية خاصة، حيث أنها تبحث في أعماق الطبيعة الإنسانية اجمالاً، فمهما يكن من صعوبة التوحيد بين الحياة وقصة الحياة على نحو ما يرويها الإنسان للآخرين، فإن الذي لا شك فيه أن المرء يجد متعة كبيرة في الحديث نفسه ورواية تاريخ حياته. وقد يكون ثمة خلاف بين حياة الإنسان على نحو ما يرويها وحياة الإنسان على نحو ما عاشها ولكن هذا الخلاف ليس إلا صورة من صور الاختلاف القائم بين القول المسرود أو الحدث المروي من جهة والخبرة المعاشة أو التجربة الحية من جهة أخرى. فالتفسير اللغوي إذاً يكشف لنا عن طبيعة السيرة الذاتية، إذ يصبح النشاط اللغوي نفسه سلوكاً بشرياً أساسياً، يكشف عن بعد هام من أبعاد الحياة الإنسانية".[2]

الأهم من هذا كله أن لا يوجد من الناس من يكره التحدث عن نفسه، حتى اللذين يقولون ذلك بألسنتهم إنما يعانون ألماً شديداً عندما يكفون أنفسهم عما تشتهيها، إذا قدروا أصلاً على كفها، والكثير من الناس من يجعل من ذلك وسيلة إلى التحدث عن ذاته. وإن كان الحديث عن الذات أو النفس بطريقة عفوية عامة أمر شائع بين الناس فإن للكاتب أو الأديب لا بدّ حظّ وافر منه؛ لأن "أنا" حاضرة في القص والروايات سواءً كانت ظاهرة أم

مخفية. وهي تتستّر وراء شخصيات القص والروايات. لأن صاحبها يحبّ أن يخلق المرايا المجلوة وينظر إلى نفسه فيها.

إن الفنان وهو يسلم نفسه لعواصف تشتعل بداخله لا يعرف على وجه الدقة والوضوح ماذا تحمل تلك العواصف، أو إلى أيّ مكان يمكن أن تقوده.[3] وهذا ما قد تعرَّض له جبرا إبراهيم جبرا؛ فإنه عندما أراد أن يكتب سيرة ذاتية، وعندما كان يراجع نفسه بشأن أحداث طفولته وجد أنه قد استعار العديد من هذه الأحداث عبر أربعين سنة من الكتابة في مقالاته، وقصصه القصيرة وخاصة رواياته، فوجد نفسه حائراً أمام أفكاره. يعترف جبرا إبراهيم جبرا بحيرته في مقدمة الجزء الأول من سيرته "البئر الأولى" حيث كتب: "فهل أتناول بعض ما كتبته هناك كأجزاء إيضاحية أو قصصية، وأعيد كتابته في سياق جديد، كترجمة ذاتية صرف؟ لا، لن أفعل ذلك، ولأترك على حاله ما صغته من طفولتي قصصاً وأحداثاً روائية، وللدارسين أن يستخلصوه ويفهموه كيفما شاؤوا، ولأتناول ما لم أدخله في صياغاتي تلك، وهو ليس بالقليل".[4] ويكمل قائلاً: "أنا لا أكتب هنا تاريخاً لتلك الفترة، ثمة من هم أعلم، وأجدر، وأبرع مني في سلسلة ووصف أحداث العشرينات وأوائل الثلاثينات في فلسطين. ولا أنا أكتب تاريخاً هنا لأسرتي، لأن ذلك شأن آخر، ولا أزعم أن لدي القدرة عليه. ولا أنا أكتب تحليلاً اجتماعياً لبلدة فلسطينية كنت يومئذ صغيرة، لا يتعدى سكانها خمسة آلاف نسمة، إن لم يقلو عن ذلك، ولا تتعدى مدارسها الطور الإبتدائي من التعليم الذي تتحكم بمعظمه الأديرة والكنائس، وهي اليوم مدينة ذات شأن اقتصادي وسياسي، يقارب سكانها مئة ألف نسمة، وفيها مدارس عديدة، وفيها جامعة يتخرج منها سنوياً عشرات الطلبة. إن ما أكتبه هنا شخصيّ بحت، وطفولي بحت... ولئلا أنزلق إلى التاريخ العائلي بتفرعاته (وفي ذلك ما فيه من الإغراء)، آثرت الاستمرار باستقصاء كينونة واحدة تتنامى مع الأيام وعياً ومعرفة وعاطفة، تحيا برائتها، وتتشبث بها، والبراءة تزايلها".[5] والفرق كبير بين المتحدث عن نفسه وكاتب السيرة الذاتية. فالأول كلما أمعن في تيار الحديث أثار الشك والجدل، والثاني يستخرج الثقة الممنوحة له منا بالتدرج؛ لأن الأول شخ عادي في نظرنا، أما الثاني يجبرنا على الاعتقاد بأنه لم يكتب سيرته لملىء فراغ وحسب، إنما كتبها لتحقيق غاية كبيرة، أبسطها أن يجعل كتبه واضحة لمن يقرؤها.[6] وكاتب السيرة الذاتية قريب إلى قلوب قارئيه لأنه يحاول أن يوجد رابطة ما بينه وبينهم فيكشف أمامهم أسرار حياته وخباياها.

إن ما سبق ذكره يمكن أخذه بالاعتبار بمثابة تأكيد لما فعله جبرا إبراهيم جبرا من استعمال الكثير من حوداث سيرته الذاتية في قصصه وفي رواياته خاصة، وهو موضوع هذه المقالة كما اعترف بنفسه. أي أن اندماج السيرة الذاتية في رواياته أمر لا يصعب الوصول إليه. خاصة الروايات الثلاثة التي تتناولها هذه المقالة دراسةً وهي: "صيادون في شارع ضيق" و "السفينة" و "البحث عن وليد مسعود". وسبب التركيز على هذه الروايات الثلاثة أنها ضمت حوادث صريحة من سيرته الذاتية بجزئيها. وقبل التعرض إلى بعض هذه الحوادث الواردة في رواياته يجب التعرض لسؤال أهم والذي سيجعل مسار هذه المقالة أكثر وضوحاً وسيساهم في فهم النتائج الحاصلة من الدراسة بشكل أكثر عمقاً. والسؤال هو: لماذا السيرة الذاتية؟

وليس المراد هنا كتابة السيرة الذاتية فحسب، بل إيراد حوادثها في الكتابات الأخرى، أي أن السؤال الذي يفرض نفسه هو لماذا فكر جبرا إبراهيم جبرا في كتابة سيرته الذاتية سواءً تلك الحوادث التي استعارها في فنه القصصي

أو ما كتبها في فصول وجاءت في جزئين. والجواب يتطلب التوضيح أولاً أن كل سيرة ذاتية سواءً جاءت وحدها أم جاءت مندمجة مع فن أدبي آخر، إنما هي تجربة ذاتية لفرد من الأفراد. فإذا بلغت هذا التجربة دور النضج، وأصبحت في نفس صاحبها نوعاً من القلق الفني فإنه لا بد أن يكتبها، أو يتحدث عنها.[7] والناس مهما يطل عليهم الأبد وتختلف أحوالهم هم أحد رجلين: رجل وصل إلى حيث تمنى وانتصر على الحياة وصعابها، وأحسن التخل من مشاكلها، ورجل كافح حتى جرحته الأشواك وأدركه الإخفاق، وكلا العاملين، الوصول والخيبة، يبلغان بالتجربة حد النضج على شرط واحد، وهو اكتمال التصور لأطراف هذه التجربة ورؤيتها عند التطلع إلى الماضي، على أساس من نظرة ذاتية خاصة. ولولا هذا الشرط لكان كل إنسان قادراً على أن يكتب سيرة حياته. فنحن نستمع أحياناً إلى أشخاص يقصون علينا قصصاً من أحداث حياتهم، يمتعون الأسماع ويبعثون النشوة ولكنهم يعجزون عن أن يكتبوها سيرة كاملة، لأنهم يعجزون عن أن يروا مكانهم من الحياة، ولا يرى الإنسان مكانه بوضوح إلا إذا أصبحت تجاربه ذات وحدة متكاملة، وكانت لديه قاعدة فلسفية يتقابل بها وجهاً لوجه مع حقائق الوجود الأخرى وهذا هو الفرق الأصيل بين الفنان وغيره، كما أنه سر سعادته أو شقاءه، أي ما يصيبه من وصول أو خيبة.[8]

التجارب الروحية هي من أكثر الحوافز وأشدها حثاً على كتابة السير الذاتية، ومن هذا القبيل "اعترافات القديس أوغسطين" و "اعترافات تولستوي". التجارب الناضجة والشخصيات المتميزة هما العمودان الأساسيان لكتابة السيرة الذاتية سواءً كانت مستقلة أو مندمجة مع الروايات كما هو الحال عند جبرا إبراهيم جبرا. لكنه يوجد رأي آخر يجب أخذه في الاعتبار حيث يقول سلامة موسى: "يجب أن لا نستصغر قيمة السيرة التي يكتبها المتوس العادي وحتى المنح الشاذّ، لأن في تخلفه عن اللحاق أو في عجزه عن السبق، عبرة قد يرجع مغزاها إلى المجتمع الذي عاش فيه، فتقع تبعته على بيئته وليس عليه وعندئذ تكون سيرته دعوة إلى هذا المجتمع كي يتغير ويتطور".[9]

وليتكرر السؤال، لماذا السيرة الذاتية، ولكن خاصة في الأدب العربي، ويجيب على هذا السؤال الدكتور إحسان عباس في كتابه "فنّ السيرة": "ويمكن أن نقسم السير الذاتية وما شابهها، حسب كيانها العام وغايتها إلى الأصناف التالي:

1. الصنف الإخباري المحض، وهو يضم الحكايات ذات العنصر الشخصي، سواءً أكانت تسجل تجربة أو خبراً أو مشاهدة، كتلك الحكايات التي يقصها الجاحظ وأبو حيان والصلاح الصفدي والصابي والصولي وغيرهم عن نفوسهم وعن الأحداث التي صادفتهم، كما تضم بعض المذكرات التي كتبها صاحبها من أجل الغاية التاريخية مثل سيرة ابن سينا.
2. صنف يكتب للتفسير والتعليل والاعتذار والتبرير، ومن هذا النوع سيرة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي، وسيرة ابن خلدون ومذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيدي بغرناطة. وكل واحد من هؤلاء كانت تكتنفه ظروف مضطربة فيها مجال للأخذ والرد والقيل والقال، فكتبوا سيرهم لينصفوا أنفسهم أمام التاريخ وليبرروا ما جرى لهم من زاوية ذاتية.
3. وصنف ثالث يصور الصراع الروحي وهو ملموح في سيرة ابن الهيثم وفي بعض ما كتبه المحاسبي في كتاب " النصائح" وواضح أيضاً في "المنقذ من الضلال" للغزالي مع أن هذا الكتاب ليس سيرة ذاتية بالمعنى الدقيق،

لأنه لا يصور إلا جانباً من أزمة روحية تعرض لها العزالي دون نظر إلى ما عداها.

4. صنف يق قصة المغامرات في الحياة وما يلاقيه المرء من تجارب، وليس لدينا من هذا الصنف سيرة ذاتية بالمعنى الدقيق، ولكن من أقرب النماذج إليها، مذكرات أسامة بن منقذ التي سماها "كتاب الإعتبار"".[10]
5. ولعل أول سيرة ذاتية ظهرت في العصر الحديث هي "كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق" للشيخ أحمد فارس الشدياق. لكن "الأيام" لطه حسين لها مكانة لا تتطاول إليها أي سيرة ذاتية أخرى، وهي صورة واعية للصراع بين الإنسان وبيئته وكاتبها يعمد عمداً إلى تصوير ذلك الصراع.[11]

ما هي الرواية:

لا تتعدد التعاريف فحسب، بل تختلف وتتباين، يقول روجر آلن: "الرواية نم أدبي دائم التحول والتبدل، يتسم بالقلق بحيث لا يستقر على حال".[12] وفي السياق ذاته يؤكد باختين واصفاً الرواية بأنها: "المرونة ذاتها فهي تقوم على البحث الدائم وعلى مراجعة أشكالها السابقة باستمرار، ولا بد للنم الأدبي من أن يكون كذلك، لأنه إنما يمد جذوره في تلك الأرضية التي تتصل اتصالاً مباشراً بمواقع ولادة الواقع".[13] أما معجم المصطلحات الأدبية لفتحي إبراهيم نجده يعرف الرواية بأنها "سرد قصصي نثري يصور شخصيات فردية، من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد".[14]

ولوسعة مجالها ومدارها فالرواية تحمل ميزة الاستيعاب وترك المساحة لكي تندمج معها الأنواع الأدبية الأخرى. فجبرا إبراهيم جبرا يدخل نصه الروائي قصائد كاملة تنسجم مع سرده ثم يعود إلى النثر وتسير الرواية في مسارها. أما ما يتعلق بموضوع هذه المقالة وهو اندماج السيرة الذاتية والرواية عنده فقد سبق ذكر اعترافه بنفسه وفيما يلي نماذج مختارة من رواياته الثلاثة الآنف ذكرها.

نماذج اندماج السيرة الذاتية في روايات جبرا إبراهيم جبرا

رواية "صيادون في شارع ضيق":

مع أن جبرا نفى إمكانية الرب بين المؤلف والراوي في مقدمة هذه الرواية: "وليس من بين الشخصيات من هو مستند على أشخاص حقيقيين وليس هناك أيما تشابه بين الراوي جميل فرّان والمؤلف، إلا في أن الإثنين قد غادرا بيت لحم إلى بغداد عام 1948م لشغل منصب تعليمي في إحدى الكليات".[15] لكنه عاد وقال في كتابه "الفن والحلم والفعل": "وأذكر أنني في أول صفحة من صيادون في شارع ضيق، أعلنت تنصلي من أن الراوي هو المؤلف، غير أن الرواية بقيت حتى الآن تُناقش وكأنها سيرة ذاتية كتبتها تسجيلاً لفترة معينة من حياتي. والنّقاد لا يعلمون أن الشخصية التي تحمل ما يمكن أن أسميه أفكاري الحقيقية هي عدنان طالب وليس جميل فرّان".[16] وفي نظري ما قاله جبرا لاحقاً كان مؤكِّداً أكثر أن هذه الرواية كانت سيرته الذاتية التي سجلت فترة محددة من قيامه واستقراره في العراق وفيما يلي المزيد مما يؤكد هذا الشيء:

- بالرجوع إلى سيرته الذاتية "شارع الأميرات"، نجد تشابهاً كبيراً بين أشخاص عرفهم جبرا في حياته الحقيقية، فمثلاً كل من عدنان طالب وحسين عبد الأمير اللذان يدعمان الانفلات من قيود المجتمع وقوانينه، ينتمي

أولهما إلى الطبقة الأرستقراطية وثانيهما إلى الطبقة البسيطة، يذكران بشخصيتين حقيقيتين تحملان الصفات نفسها، هما شخصيتا الشاعرين المعروفين: بلند الحيدري وحسين مردان اللذين كانا صديقين حميمين للكاتب. ثم نرى شخصية توفيق ياسين الذي يبدو واضحاً كشخصية مأخوذة بالبداوة والتراث إلى حد التطرف، ورفض جميع مظاهر المدينة وملامحها، وهو يشبه شخصية فهد الريماوي الفلسطيني خريج آداب القاهرة، وقد اعترف جبرا نفسه بذلك: "كان فهد موضع اعجاب زميلنا دزموند ستيوارت الذي استوحاه في تصوير البطل في روايته الأولى "فهد بين الأعشاب"، كما استوحيته أنا بعد ذلك بمدة قصيرة وعلى نحو مغاير في رسم إحدى شخصياتي المهمة في صيادون في شارع ضيق".[17]

- شخصية يعقوب، الأخ الأكبر للبطل، بدت من حيث الملامح العامة مشابهة لشخصية يوسف الأخ الأكبر لجبرا نفسه الذي ضحَّى بتعليمه، واتجه نحو الحياة العملية كي يضمن قوت الأسرة ومستقبل أخيه الأصغر والذي توجد ملامحه واضحة في السيرة الذاتية الأولى أي "البئر الأولى".[18]
- أما سلافة الطالبة الأرستقراطية التي وقع جميل فران في غرامها تطابق إحدى طالبات جبرا الأرستقراطيات: "يأتي بها السائق كل صبح إلى الكلية في سيارة فخمة ثم يعود بها في نهاية الدوام".[19] وفي سيرته "شارع الأميرات" يأتي ذكرٌ متكرر لطالبة داومت على كتابة الرسائل الغرامية إليه حتى بعد إعلان نيته الزواج من لميعة العسكري، وفي النهاية أي بعد زواجه، استردت رسائلها منه وأهدته علبة سجائر ذهبية نقشت في داخلها خريطة العراق وهو ما يدل على ما كانت عليه أسرتها من الثراء.[20]
- خافت أم جبرا على ابنها أنه إذا تزوج من امرأة خارجة قبيلته فإنها ستأخذه بعيداً عنها، يذكر جبرا في "شارع الأميرات" أنه في إحدى زياراته الصيفية إلى عائلته لم يعترف بارتباطه مع لميعة رغم أن أخاه الأصغر تنبه لكثرة ورود اسمها في كلامه، لكنه اختار الصمت لأنه لم يمتلك الطاقة لمواجهة أمه ومخاوفها.[21] وهو حال جميل فران الذي لم يخضع لرغبة أمه بل آثر مواجهة صراعاته في العراق والاستقرار فيها، وظل حتى آخر الرواية مرَجِّحاً الارتباط مع سلافة العراقية.[22]

رواية "السفية":

- على تعدد أبطال هذه الرواية وتشابك أصواتها، فإن وديع عساف فلسطيني مسيحي، مثل جبرا مفعم بدوافع الإبداع والرجوع إلى الأرض الفلسطينية والتجديد. واعترف جبرا أن هذه الرواية وهذه الشخصية أتت ثمرة أسفاره ومشاهداته البحرية الطويلة: "أتيت بمونولوج آخر لشخ آخر، وقلت لنفسي إن الشخ الآخر سأجعله أقرب إلى نفسي، وسأسميه وديع، فجاء المونولوج الآخر ومن الصفحات الأولى هذه تقرر مسار السفينة".[23]
- أما الأماكن التي وردت في السفينة وإن لم يذكرها كلها بالتفصيل في سيرته الذاتية، إلا أنه أكد أنها أماكن حقيقية قد زارها فعلاً وعرفها وأحبها.[24]
- وديع عساف كان رساماً محترفاً أدهش عصام برسوماته، وهذه ميزة أخذها من جبرا: "وكان الرسم لي باباً آخر دخلته، إلى عالم وجدت فيه ملاذاً لا بد لي منه، ووسيلة لنشوات عرضت لي عن بؤس كثير فيما بعد، يوم

انغلقت جدران البيت على من فيه، وانسدت المنافذ التي تدخل منها مشاهد الأشجار المحملة بالعصافير، ورؤى الجبال والوديان المتضاحكة في ذوب الشمس".[25]

- ويشير جبرا إلى عملية صهر الرصاص وتجميده في السفينة عندما يتذكر وديع ذهابه مع فائز لزيارة بيته فيجد المكان مُسوَداً من آثار العمل مع الرصاص وهو في حادثة يساعد والد فائز معه في حمل هذا الرصاص.[26] وجبرا في فترة من طفولته تعامل والده مع الرصاص والزنك والنحاس فأرسل جبرا إلى مصنع صغير لأحد السباكين ليقضي الصيف برفقة المعلم بشارة.[27]

رواية "البحث عن وليد مسعود":

- لعل أقوى الحوادث الواردة في هذه الرواية من حياة جبرا أو سيرته هي: "ويوم هربت من الدير مع سليمان ومراد لنتنسك في كهف من كهوف الوادي السحيقة".[28] وقد تعرض جبرا في سيرته "البئر الأولى" لتفاصيل هذه الحادثة، ومما يجدر ذكره من هذه التفاصيل أنه في كلتا الحادثتين تم اكتشاف البئر وتعاون الأولاد على استخراج الماء منها بدون مساعدة من أي كبير.[29]
- تحتوي هذه الرواية على فصلين مختصين بطفولة وليد مسعود وسيرة أبيه مسعود فرحان بتعالق كبير وإن كان غير مباشر مع طفولة جبرا نفسه وملامح أبيه القروية البسي الذي بالرغم من أميته وفقره بذل كل جهده في سبيل تعليم ابنه وتحسين مستقبله وكذلك أم وليد التي تذكر القاريء بأم جبرا. يقول وليد: "لم يكن ثراء مسعود إلا وهماً من أوهامنا، لعله عاد بشيء من النقود ولكنه لم يفتح متجراً ولم يبن قصراً".[30] ومع ذلك نجد مسعود مهتماً بتعليم ابنه وهكذا كان حال والد جبرا. "أما أبي، عندما سمع خلاصة هذا الكلام ذلك المساء، فقال: والله ما دام فيّ عِرقٌ ينبض، وما دام في صدري نفس، لن أسمح لك بأن تترك المدرسة، أما أخوك فلم يفعل في العام الماضي إلا خروجاً على إرادتي. ولو كان الأمر بيدي لأعدته إلى المدرسة غداً، ولنمت من الجوع. أتريدان أن تكونا، عندما تكبران، أمِّيَّين مثلي".[31]

وهناك ما هو مشترك في هذه الروايات الثلاثة وسيرة جبرا إبراهيم جبرا تندمج معها بشكل معقد فيصعب الحكم على أي منهما حقيقي وأي منهما إبداعي. وفيما يلي أذكر بعضاً منها:

- صورة الفلسطيني المثقف، بل الوسيع الثقافة والمعرفة الذي لديه القدرة على الاندماج في المحاورات والنقاشات الثقافية والدينية والأدبية بكل ثقة وبكل قدرة على إبهار الحضور.
- وجود الطبقة الأرستقراطية التي يحاول البطل الفلسطيني دائماً الاندماج فيها، بل يحاول في كثير من الأحيان أن يتغلب عليها بثقافته وشخصيته المتميزة، بالرغم أن ماضيه في أكثر الأحيان يكشف عن انتماءه إلى الطبقة المعسورة الحال.
- البطل الفلسطيني عند جبرا دائماً متميز بشخصية خارقة ذات قدرة فائقة على جذب النساء الجميلات والمتميزات في الطبقات المتعلمة الأرسقراطية. كما أن هذا البطل يتميز بقدرته على الانشغال العاطفي مع أكثر من امرأة في وقت واحد.

- البطل الفلسطيني مهما كان ناجحاً ومتميزاً فإنه لا ينسى انتمائه إلى فلسطين، ولا يدع لهب الشوق بداخله ينطفيء، فيدفعه دائماً إلى التفكير في العودة إلى فلسطين، وعمل ما يمكن عمله ما أجل تحريرها ورُقيّها.
- إقامة علاقة وثيقة بين القدس والصخور الصلبة، فجميل فران ووليد مسعود يتذكران القدس وصخورها، بينما يذهب وديع إلى حد أنه يريد مها، الإمرأة التي يتمنى الزواج منها، بأن تكون صخرة من صخور القدس.

كل هذه الجوانب الحية من شخصية جبرا تشهد عليها جزأي سيرته.

لماذا اندمجت روايات جبرا مع سيرته الذاتية؟

مع أن الإجابة الدقيقة والصحيحة لم تكن موجودة إلا عند جبرا نفسه، وهو لم يجب على هذا السؤال لا في رواياته ولا في سيرته. ومع ذلك يمكن الوصول إلى أن الأحداث التي أوردها في رواياته والتي كانت أصلاً مستعارة من سيرته، إنما جاءت تعكس صنفين من أصناف السيرة الذاتية أو هدفين من أهداف الكاتب الذي يكشف عن أسرار حياته وهما:

1. ة المغامرات التي عاشها الكاتب في حياته الشخصية وكيف أنه استطاع أن يطوي رحلة الحياة الحافلة بهذه المغامرات.
2. التفسير والتعليل لذات الكاتب نفسه وشخصيات رواياته، والتبرير لما فعلوه في حياتهم ومعاملاتهم مع الشخصيات الأخرى والحوادث.

الخاتمة:

سواءً أكانت حياة الإنسان ناجحة أم خائبة، فالإعتراف بالحقيقة أمر صعب جداً، ولهذا نجد أن جبرا إبراهيم جبرا عندما كتب سيرته الذاتية لم يكتبها كاملة، بل كتب أجزاءً منها في صورة فصول، وبرر ذلك بعدم وجود الكثير من الرسائل التي تبادلها مع معاصريه، ثم تَبرَّر بالذاكرة، لكن الحقيقة هي أن الإعتراف بالحقيقة أمر صعب جداً. وقد ساهمت سيرة جبرا كما أراد هو بنفسه في تسهيل فهم أعماله القصصية خاصة رواياته. ويمكنني أن أختة لكل رواية جانباً فسرته وأبرزته من حياة جبرا إبراهيم جبرا، ففي رواية "صيادون في شارع ضيق" يَظهر جانب حياته التي عاشها في العراق، الصراع الذي خاضه لكي يستقر هناك، وينتهي به المقام بأن يتزوج بامرأة عراقية مسلمة، ويصرف قواه ليصبح فرداً متميزاً ناجحاً في ذلك المجتمع. وفي رواية "السفينة" يظهر حبه العميق للسفر وما حصلت شخصيته على تنوع وعمق بسبب الأسفار البحرية التي سافرها في حياته. وأما رواية "البحث عن وليد مسعود" فتظهر الطفولة التي كانت دائماً لجبرا أكثر من حصيلة الذكريات الخاصة، بل إنها كانت البئر أو العين التي تمد بالكثير دائماً. لأن الأصول الحقيقة للأشياء تعود إلى التجارب الأولى في حياة المرء. كما تظهر هذه الرواية جانبين آخرين من شخصية جبرا وهما: التميز الفردي بسبب الثقافة والمعرفة من جهة، ومن جهة أخرى كون هذا الفرد المتميز مركزاً مثيراً لإعجاب النساء الجميلات المتميزات. والجانب الثاني هو الهاجس الفلسطيني الذي لم يغادر جبرا طول حياته لا محبة ولا رغبة في العودة مع عدم القدرة على العودة. حتى أن البطل يختفي في هذه الرواية والأغلب في الظن أنه غاب من أجل الوطن المحتل.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

الهوامش

1 شرف، عبد العزيز: أدب السيرة الذاتية. القاهرة: مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، 1992م. ص 2

2 المصدر السابق، ص 2

3 جبرا، جبرا إبراهيم: شارع الأميرات (فصول من سيرة ذاتية). ط1. بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2007م. ص 13

4 جبرا، جبرا إبراهيم: البئر الأولى (فصول من سيرة ذاتية). ط1. بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2009م. ص 8-9

5 المصدر السابق، ص 10

6 عباس، د. إحسان: فن السيرة. ط1. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 1996م. ص 92-93

7 المصدر السابق، ص 95

8 المصدر السابق، ص 95

9 موسى، سلامة: تربية موسى سلامة. وندسور، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، 2014م. ص 12

10 عباس، د. إحسان: فن السيرة. ط1. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 1996م. ص 114-129

11 المصدر السابق، ص 131-132

12 آلن، روجر: الرواية العربية (مقدمة تاريخية ونقدية). ترجمة: حصة إبراهيم المنيف، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1997م. ص 7

13 بو عزة، د. الطيب: ماهية الرواية. القاهرة: عالم الأدب للترجمة والنشر، 2016م. ص 15

14 إبراهيم، فتحي: معجم المصطلحات الأدبية. تونس: المؤسسة العربية للنشر المتحدين، 1988م. ص 60

15 جبرا، جبرا إبراهيم: صيادون في شارع ضيق. ترجمة: محمد عصفور. ط4. بيروت: دار الآداب، 2018م. ص 5

16 جبرا، جبرا إبراهيم: الفن والحلم والفعل. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1986م. ص 121

17 جبرا، جبرا إبراهيم: الرحلة الثامنة. ط2. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979م. ص 75

18 جبرا، جبرا إبراهيم: البئر الأولى (فصول من سيرة ذاتية). ط1. بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2009م. ص 121

19 جبرا، جبرا إبراهيم: صيادون في شارع ضيق. ترجمة: محمد عصفور. ط4. بيروت، 2018م. ص 123

20 جبرا، جبرا إبراهيم: شارع الأميرات (فصول من سيرة ذاتية). ط1. بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2007م. ص 242-243

21 المصدر السابق، ص 245

22 جبرا، جبرا إبراهيم: صيادون في شارع ضيق. ترجمة: محمد عصفور. ط4. بيروت، 2018م. ص 24

23 جبرا، جبرا إبراهيم: معايشة النمرة وأوراق أخرى. ط1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1992م. ص 277

24 المصدر السابق، ص 277

25 جبرا، جبرا إبراهيم: البئر الأولى (فصول من سيرة ذاتية). ط1. بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2009م. ص 181

26 جبرا، جبرا إبراهيم: السفينة. ط5. بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2008م. ص 54-55

27 جبرا، جبرا إبراهيم: البئر الأولى (فصول من سيرة ذاتية). ط1. بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2009م. ص 162

28 جبرا، جبرا إبراهيم: البحث عن وليد مسعود. ط3. بغداد: مكتبة الشرق الأوسط، 1985م. ص 186

29 جبرا، جبرا إبراهيم: البئر الأولى (فصول من سيرة ذاتية). ط1. بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2009م. ص 167

30 جبرا، جبرا إبراهيم: البحث عن وليد مسعود. ط3. بغداد: مكتبة الشرق الأوسط، 1985م. ص 186

31 جبرا، جبرا إبراهيم: البئر الأولى (فصول من سيرة ذاتية). ط1. بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2009م. ص138

شرف، عبد العزيز: أدب السيرة الذاتية. القاهرة: مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، 1992م.

عباس، د. إحسان: فن السيرة. ط1. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 1996م.

موسى، سلامة: تربية موسى سلامة. وندسور، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، 2014م.